

«ذات الشعر الأحمر» صراع الآباء والأبناء

أورهان باموك يوثق روائيا أكثر العلاقات البشرية تعقيدا

من أبرز العلاقات البشرية علاقة الأب بابنه، حيث تتسم هذه العلاقة بالكثير من التناقضات العاطفية وغيرها، فنجدها إما متوترة أو تقوم على الطاعة أو في خلاف، حيث أن هذه العلاقة لا تعرف نمطا واحدا. ومن هنا عرفت البشرية في أساطيرها الكثير من العلاقات الغريبة والمشحونة بين الآباء وأبنائهم سواء في أمثولات تحدثت عن الآلهة أو في أساطير مثل أوديب وغيرها. لكن أورهان باموك الروائي التركي، خير أن يدخل إلى علاقة الأب بابنه من مدخل روائي مختلف تماما.

هيثم حسين
كاتب سوري



أيقن أن الانقراض سيحل بهذا الجيل حتما. يقارن بين والده والأسطى محمود، يذكر أن والده لم يكن يستشير في أي أمر قط، ولا يشركه في المسائل الكبيرة ذات الأهمية، تماشيا مع عادة الكتمان والحفاظ على السرية التي اكتسبها جراء العمل في السياسة، بينما قام الأسطى محمود بطرح أفكاره عليه قبل أن يتخذ قراره، وكان يشعر بأنه يوليه رعاية أبوية وفي بوعده، إذ قطع عهدا على نفسه ألا يسمح له بالنزول إلى البئر، والأحملة أكثر من طاقته، لأنه شعر بأنه يشفق عليه ويوليه أقصى اهتمامه.

آبار وأسرار

يشير إلى أن الآبار كانت بمثابة الخزان لأهل إسطنبول يرمون فيها أشياءهم من أجل إخفاؤها، مثل السيوف والملاعق والجماجم والبنادق والمسدسات والدمى والأمشاط وغيرها من حاجيات لا تخطر على بال، ويتساءل ليس غريبا حقا أن يدفن الإنسان حاجياته الثمينة في البئر، وعلام يدل هذا التصرف يا ترى.

بصادف امرأة ذات شعر أحمر، تلقي عليه نظرة خاطفة، يلج مسحة الحزن التي شابت الابتسامة المطبوعة على شفيتها المدورتين، وكان قوامها ممشوقا ترسم على محياها تعابير رقيقة وجذابة وتزداد لقا حينما تبسّم. ويفضل رؤيته للمرأة ذات الشعر الأحمر بدأ يشعر كم كانت الأشياء المحيطة به رائعة، وشعر أن العالم برمته وكل شيء كان جميلا بيعت السرور في النفس والروح. يحكي كيف أثر فيه دلالاته وخلق له، خصلات شعرها الأحمر كانت تاتلق في النور بشكل رائع.

نظرت إلى وجهه باستغراب وكانها تعرفه قبل هذا. كأنها تقول ما الذي أتى به إلى هنا؟ في اللحظة التي كانا تقابلها فيها وجهها لوجه وتامل الواحد منهما وجه الآخر، وكان كل واحد منهما كان يفتش عن ذكرى كانت تجمعهما في يوم ما، أو يتحرى عنها.

وكان يشعر أنه كلما ذهب في إغفاءة انقثت النجوم أمام ناظره وحضر وجه المرأة ذات الشعر الأحمر أمام عينيه. ولم تفارق صورتها مخيلته حتى في أشد الأوقات حرارة، وكان يجد في تلك الأحلام متعة تجعله مشدودا إلى الحياة بأواصر متينة وكان فيها الشيء الكثير مما يمنحه الأمل والتفاؤل.

يستحضر الراوي جسام أسطورة أوديب الذي قتل أباه، وأنه لم يره أحد وهو يقتله، ولم يرق أحد بتجريمه في مدينة طيبة التي شدد إليها الرمال. ويتخيل كم هو يشع أن يقترب المرء جريمة نكراء قتل الأب، ثم يتمكن من الإفلات من العقاب، ويصبح ملكا ويتزوج أمه وينجب منها أطفالا، ثم حين أدرك أنه

اعتقل أكثر من مرة، في بداية الثمانينات حين وقع انقلاب كنعان أفين العسكري، واعتقل مئات الآلاف من الناس على إثره، ومرة أخرى بعد بضع سنوات، وذلك على خلفية ممارسته السياسة وصدقاته مع بعض السياسيين، وكانت الأسرة تدفع ضريبة سجنه المديد، ما كان يزيد الشقاق بين أفرادها.

يحكي صاحب "متحف البراءة" أنه في غياب الأب كبر الابن الذي تنقل بين عدة مهن، عمل في مكتبة لبيع الكتب، وكان يقرأ كثيرا، ما ساهم في تشكيل وعيه باكرا، وحلم أن يصبح كاتباً، تحت تأثير رب عمله الذي كان يقدمه للكتاب الذين يزورونه بأنه سيصبح كاتباً مثلهم في المستقبل. وبعد غياب الأب توطدت العلاقة بين الابن وأمه التي كانت تؤكد له أنه يجب أن يكسب مقعدا في كلية مرموقة قبل أي شيء، وتقبلت قراره في أن يكون كاتباً على أنه مجرد

يتناول كيفية اختفاء حضور الأب تدريجيا من حياة الابن، فذات يوم القى الطفل نظرة إلى خزانة ملابس والده فلاحظ اختفاء ملابس من الدرج، إلا أن زجاجة عطر التبع والكولونيا الخاصة به ما زالتا في مطلمهما. ولم يكن يتحدث هو وأمه عن والده قط، حتى أن صورته الضبابية كانت ماضية في طريقها إلى الزوال من مخيلته.

تعرف الراوي إلى الأسطى محمود حفار الآبار، الذي طلب منه العمل لديه، وعرض عليه اجرا جيدا، وبعد معارضة من والدته، انضم إلى الأسطى محمود الذي أصبح بمثابة أب رمزي له، احتضنه وحرص على أن ينقل إليه تجاربه المتراكمة عبر سنوات عمره، وكان يحكي له كثيرا في الليالي التي كانا يقضيانها في مواقع العمل.

يصف الأسطى محمود بأنه كان واحدا من أولئك الأسطوات الفرثارين، من الممكن أنه يمتلك شيئا من البلغة التي يمتاز بها القدماء من أمثاله، ولكنه كان يهزأ بأسلافه الذين كانوا يحملون غصنا متفرعا ويذرعون الأرض جيئة ونهايا ويقرواؤن الأدعية وينفخون شمالا وجنوبا للعثور على المياه. كان يعتبر نفسه أرحم خربة في عقود أسطوات الصنعة القدامى الذين امتنهنوا حفر الآبار. ويقول بأنه لم يكن متبجحا بل كان متواضعا، وبفطرته السلمية

كل الباحثين العرب والمشاركة الذين يتصدون لمسائل المعرفة والفكر في سياقات العالم العربي والمشرقي يجدون أنفسهم يتعاطون بصورة أو باخرى، وبشكل لا مفر منه، مع مسائل وقضايا تدور حول الثقافة والدين والسياسة. من هنا فإن كتاب "أحفورات الفهم... تاريخانيات المعنى" للبروفيسور الدكتور نجيب جورج عوض يقدم للراي العربي والمشرقي مجموعة من الدراسات البحثية والإكاديمية التفكيكية والتحليلية، التي تقارب مسائل تدور حول النالوث المفاهيمي المنكور: الثقافة والدين والسياسة، والكتاب الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عبارة عن دراسات عمل فيها المؤلف على مقاربة الهم الثقافي والمخيال الديني واللاهوتي والفكر السياسي في شقيه الغربي والعربي بمنهجيات تفكيكية حفرية وتاريخولوجية تتعامل مع كل من تلك الحقول الثلاثة على أنها حركات في التاريخ ومن التاريخ وذات بنية تاريخية في حد ذاتها.



الواقع كما تراه المرأة مختلف تماما (لوحة للفنانة هيلدا حيارى)



ذات الشعر الأحمر لها حكايتها

الذي عاش فيه صيف عام 1988. وكانا آخر الحفارين الذين يعملون بأساليب قديمة، ولاحظ أن علاقتهما أصبحت بمرور الزمن مثل علاقة أب مع ابنه، ووجد تلك العلاقة مميزة، وأراد أن يوثقها بطريقته الروائية.

قد تزوج من أمه فقا عينيه بيده وهرج المدينة إلى مكان آخر.

وبالموازاة معها يستحضر حكاية قائد شرقيين، حيث يتقاتل الأب والابن، ويقتل الأب ابنه، على الضد من حكاية أوديب. وكان صراع الأساطير بين الشرق والغرب يرد في سياق اختلاف الثقافة ليبرز كيف أن للشرق أساطيره المناقضة لأساطير الغرب، ليصل إلى رأي أن الحياة هي التي تعيد روح الأساطير.

ينتقل في الفصل الأخير للحكي على لسنا المرأة الرواية، يعنون الفصل بـ"امرأة ما ذات شعر أحمر"، ومن صياغة الأحداث من وجهة نظرها، ومن زاويتها للتاريخ والحكايات، وبلغت على لسنا والده التي كانت ممثلة مسرحية، إلى أنها كانت على بيته من تقليد أساطير الحياة وقصصها أو على معرفة بتلك الحكايات القديمة التي ليست دليلا لإثبات تهمة القتل على ابنها الذي اتهم بقتل والده الذي كان ينازعه على المسدس بجوار البئر الذي سقط فيه.

ينوه باموك في روايته بطريقة غير مباشرة إلى أن البشر يشبهون الآبار من خلال احتفاظهم في داخلهم بكثير من الأسرار والتفاصيل التي تخزن بدورها الكثير من الحكايات التي تحمل العبر، وتفتتح على التاويلات، وتساهم في كشف الأسرار المخبوة في النفوس.

يقول باموك عن عمله إنه أراد أن يروي قصة واقعية عن رجل ماهر في حفر الآبار ومساعد. وإن هذين الشخصين كانا يعيشان في الأرض المجاورة للمكان

العرب والقراءة والكتاب

يرصد عالم الاجتماع المغربي أحمد شراك كتابه الجديد "سوسيولوجيا التراكم الثقافي" أهم ثيمات وقضايا الثقافة المغربية التي تعتمل فيها وتعكس توتراتها وتحولاتها. وينحو الباحث منحى نقديا تطبيقيا في مؤلفه هذا بمجموعة من المتابعات النقدية للتراكم الثقافي، البيبليوغرافي خاصة، ويشخص وضعية القراءة والكتاب المغربي في علاقته بالآخر على صعيد المقروئية، كما يقدم إعدادا بيبليوغرافيا للتراكم الثقافي من خلال توثيق مجموعة من مؤشرات.

ويستحضر شراك في كتابه، الصادر عن دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع، "التحولات التي عرفها المغرب بفعل احتجاجات الربيع العربي"، وما خلفته من إصلاح سياسي، باحثا في إشكالية "مدى علاقة الإصلاح السياسي بالمشهد الثقافي عموما، وعلى رأسها وضعية الكتاب الثقافي".

كما يطرح شراك سؤال الكتاب والقراءة في المغرب، والعالم العربي، ليستفهم عن التراكم على صعيد قراءة الكتاب خاصة بعد الانتفاضات العربية.



كاتبات يواجهن الوحدة

في كتابها الجديد "الكاتبات والوحدة"، تقتفي الكاتبة المصرية نورا ناجي أثر حكايات وكتابات عشر كاتبات عربيات وعالميات عبر التاريخ والقواسم المشتركة في ما بينهن، ولأسيما في ما يتعلق بالكتابة ومشاعر الوحدة، باعتبارهما ركيزتين رئيسيتين قادتهن إلى مصائر مشتركة في النهاية، وصلت حدتها في الكثير من الأحيان بهن إلى حاجتي الاكتئاب والانتحار.

ويبحث الكتاب، الصادر أخيرا عن دار "الشروق"، عن الخيط السحري الذي يصل بطالته العشر في مختلف الأزمنة، ذلك الذي يربط بين مشاعر الذنب والرغبة في المقاومة، والإخلاص للكتابة، والتأرجح بين التمرد والهشاشة التي تصيبهن بها الحياة، وعلاقتهن بالأمومة وتعبيراتها. وتتضمن الكاتبة الدوافع والأبعاد المتنوعة لمفهوم الوحدة وسير الكاتبات من بينهن مي زيادة مروا بسوزان سونتاغ ونوال السعداوي ورضوى عاشور وإيمان مرسل وإيلينا فيرانتى وأروى صالح، اللواتي تشابهت المواقف الإنسانية في حياتهن.



الثقافة والدين والسياسة

كل الباحثين العرب والمشاركة الذين يتصدون لمسائل المعرفة والفكر في سياقات العالم العربي والمشرقي يجدون أنفسهم يتعاطون بصورة أو باخرى، وبشكل لا مفر منه، مع مسائل وقضايا تدور حول الثقافة والدين والسياسة.

من هنا فإن كتاب "أحفورات الفهم... تاريخانيات المعنى" للبروفيسور الدكتور نجيب جورج عوض يقدم للراي العربي والمشرقي مجموعة من الدراسات البحثية والإكاديمية التفكيكية والتحليلية، التي تقارب مسائل تدور حول النالوث المفاهيمي المنكور: الثقافة والدين والسياسة، والكتاب الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عبارة عن دراسات عمل فيها المؤلف على مقاربة الهم الثقافي والمخيال الديني واللاهوتي والفكر السياسي في شقيه الغربي والعربي بمنهجيات تفكيكية حفرية وتاريخولوجية تتعامل مع كل من تلك الحقول الثلاثة على أنها حركات في التاريخ ومن التاريخ وذات بنية تاريخية في حد ذاتها.

